

الربيع العربي ودوائر الأزمات الإقليمية

محمد سليمان الزواوي¹

www.facebook.com/zawawy.m

مثل الربيع العربي فرصة تاريخية لإعادة تشكيل المنطقة، سواء من وجهة نظر الشعوب أو من وجهة نظر القوى العالمية؛ فالشعوب أرادت تغيير الأنظمة من أجل إصلاح الداخل ومن أجل إصلاح السياسات الخارجية لدولها، بعد أن رأت مدى عجزها عن حل أي معضلات إقليمية أو ممارسة أي ثقل على مستوى السياسات الإقليمية أو الدولية، فالنظام الإقليمي العربي كله . ممثلاً في الجامعة العربية . كان مهترئاً وأثبت عجزه عن التأثير في محيطه، وطغت الشخصية على السياسات البينية بين الدول العربية، وكان أداء الجامعة العربية من أحد أسباب زيادة حنق الشارع العربي على حكاهم المستبدين، لا سيما في الأزمات العاصفة مثل الحرب اللبنانية في صيف 2006، والحرب على غزة في أواخر 2008، وغلجان الشارع العربي وهو يجد تواطؤ الأنظمة العربية في تلك المذابح.

كما رأت القوى الدولية في الربيع العربي أيضاً فرصة لتغيير وجه المنطقة بتغيير الأنظمة الاستبدادية التي فقدت صلاحيتها بعد أن أثبتت أنها جزء من المشكلة وليست جزءاً من الحل؛ فالأنظمة الاستبدادية زرعت التطرف وصدرت للخارج نتيجة سياساتها القمعية مما أدى إلى توترات أمنية عالمية، كما أن الغرب كان يأمل في تحول ديموقراطي سلمي للمنطقة يعطي فرصة للمعارضين باستخدام الوسائل السلمية، بعد أن فشل احتلال العراق في أن يجعلها نموذجاً يحتذى للديموقراطية في العالم العربي، وأثبت فشل نموذج فرض الديموقراطية بالقوة دون اعتبار لخصوصيات الدول الثقافية والدينية والعرقية والمذهبية، لذا مثل الربيع العربي أيضاً إغراء للقوى الدولية بأن الثورات ستقوم بتحويل المنطقة إلى الديموقراطية وإلى مزيد من التعاون العربي العربي.

¹ باحث في العلاقات الدولية.

ولكن بعد مجيئ الإسلاميين إلى الحكم في المغرب وتونس ومصر وهيمنتهم على المشهدين الليبي واليمني، وانهزام التيار الليبرالي أمام قوى الإسلام السياسي، فإن الولايات المتحدة أصبحت تعيد النظر في المحددات الحاكمة للعبة السياسية في المنطقة؛ حيث إن مخرجات العمليات السياسية في بلدان الربيع العربي من المتوقع أن تؤدي إلى مزيد من تعقيد الصراع الإسرائيلي "الفلسطيني"، وربما تعيده إلى مربع الصراع "العربي" الإسرائيلي، مع ارتفاع صوت داخل مصر بإعادة النظر في معاهدة كامب ديفيد، وكذلك مع احتمال انهيار نظام الأسد ومجيئ نظام سني في البلاد ربما يعقد تحالفًا مع مصر وتركيا من أجل الضغط على إسرائيل، وهو الكابوس الأكبر أمام الدولة العبرية.

ويأتي في خضم ذلك كله تصاعد التوتر حول البرنامج النووي الإيراني وإعطاء طهران فرصة أخيرة لوقف برنامجها النووي وعقد محادثات معها، مع التهديد باللجوء إلى الخيار العسكري سواء من الولايات المتحدة أو من إسرائيل منفردة؛ حيث ترى تل أبيب أنها لا تمتلك رفاهية الانتظار التي تمتلكها الولايات المتحدة، فترى واشنطن في النهاية يمكن أن تتعايش مع النووي الإيراني كما تعايشت مع النووي الكوري الشمالي، في حين أن إسرائيل تقع في مدى صواريخ إيران وفي مدى تهديدها النووي، لذا تفكر في اتخاذ قرار منفرد قبل أن يصبح الوقت متأخرًا للغاية، وحينئذ لن تستطيع شن ضربة عسكرية ضد إيران.

والتحول الأهم في الربيع العربي هو التحول على الجبهة السورية؛ فسوريا تحولت إلى صراع طائفي مذهبي يهدد بجر المنطقة كلها إلى حرب إقليمية، فنظام الأسد يهدد بتحويل المنطقة إلى جحيم واستدراج كل من إسرائيل وتركيا وحزب الله وحماس إلى المستنقع السوري بقصفه لكل من إسرائيل وتركيا، ودخول التنظيمات الجهادية القادمة من العراق إلى الجبهة السورية، وكذلك تفاقم المشكلة الكردية العالقة على الحدود التركية السورية، وهو ما يهدد بتغيير خريطة الشرق الأوسط كلية، خاصة في ظل تصريحات هنري كيسنجر الأخيرة أن تطول الحرب العالمية الثالثة تدق، ومن لا يسمعها فمن المؤكد أنه أصم، مشيرًا إلى الدور الروسي أيضًا في المنطقة وأنها لن تفرط في قاعدة طرطوس السورية على البحر المتوسط، التي تعد آخر موطئ قدم لها في المياه الدافئة.

وهناك أربع تغييرات رئيسية حدثت في الربيع العربي، ولها تداعياتها الكبرى على النظام الإقليمي وعلى دوائر الأزمات في المنطقة، وتلك التغييرات الرئيسية هي كالتالي:

التغير الأول: استلام الشعوب لسيادتها:

التغير الأهم في الربيع العربي هو استلام الشعوب لسيادتها وزمام أمورها مرة ثانية، واسترجاع حقها في صندوق انتخابات نزيه يعبر عن إرادتها، فمع أهمية القضاء على حفنة الحكام الظالمين المستبدين والقضاء على الفساد، إلا أن استعادة الشعوب لسيادتها مرة ثانية سيكون له أكبر الأثر على تشكيل المنطقة من حولنا، مع تداعيات جمة . منها ما هو سلبي ومنها ما هو إيجابي . على دول الربيع العربي، وبخاصة مصر وسوريا. فمع أهمية دول مثل تونس وليبيا واليمن، إلا أن مصر دولة محورية واستعادتها لدورها الرائد في المنطقة سيغير الكثير من محددات اللعبة، وكما أن جميع دول الربيع العربي قد انفجرت إلى الداخل، إلا أن سوريا من المتوقع أن تنفجر إلى الخارج كما صرح بذلك كاتب النيويورك تايمز توماس فريدمان²، بتداعيات هائلة على المنطقة، حيث تسعى الدول الكبرى الآن إلى احتواء الصراع وعدم تجاوزه للحدود السورية، وبعدم تحوله أيضًا إلى حرب أهلية تستدر الطوائف العرقية والمذهبية المختلفة في دول الجوار.

فاستلام الشعب المصري لسيادته وقدرته على جلب من يختاره إلى سدة الحكم وكذلك تأثير الشارع في السياسات الخارجية للدولة المصرية من المتوقع أن يؤدي إلى توترات إقليمية خاصة مع زيادة فرص الإسلاميين في تشكيل مستقبل البلاد بوجودهم داخل المؤسسات التنفيذية والإدارية والتشريعية للدولة، ففضايا مثل كامب ديفيد أو عدوان جديد على غزة أو العلاقة مع إسرائيل أو غيرها من الموضوعات ستجبر الساسة الجدد على اتخاذ مواقف أكثر قوة، حتى لو كانت إمكانات الدولة المصرية وأدوات سياستها الخارجية في حربة ما بعد الثورة لن تؤهلها للعب ذلك الدور على الفور، وذلك لارتفاع سقف طموحات ومطالب الشعب المصري وعلو نبرته وشعوره المتزايد

² <http://www.nytimes.com/2011/11/27/opinion/sunday/Friedman-in-the-arab-world-its-the-past-vs-the-future.html>

بالوطنية في أعقاب ثورتهم الناجحة، حيث تؤدي الثورات عادة إلى تزايد المشاعر الوطنية والطموحات في مستقبل أكثر كرامة.

كما أن استلام الشعب السوري زمام سيادته وفي حال إجراء انتخابات في سوريا ما بعد الأسد . أو حتى مع بقاء نظامه ولكن بانتخابات نزيهة تحت إشراف الأمم المتحدة . فإنه من المتوقع أن تجلب نظام حكم سني أكثر وطنية وارتباطاً بمحيطه عن نظام الأسد العلوي، الذي كان في ظاهره من دول الممانعة، إلا أنه كان يقدم أكبر ضمانات لأمن إسرائيل كما صرح بذلك رامي مخلوف ابن خال بشار الأسد³، فنظام سني جديد في سوريا سيمثل الكابوس الأكبر لإسرائيل، ألا وهو احتمالية وجود تحالف مصري تركي سوري، وهو المحور الذي تخشاه تل أبيب، فإسرائيل لا تخشى القوى منفردة، ولكنها تخشى أن تجتمع عليها دول الجوار كما حدث في حرب 1973 عندما شنت مصر وسوريا حرباً متزامنة على جبهتين، وهو التهديد الأخطر على أمن إسرائيل كما قال جورج فريدمان⁴، وهو ما سيتطلب رد فعل فوري من إسرائيل وتغيير شامل في سياستها واستراتيجيتها تجاه دول المنطقة.

التغير الثاني: زوال مبارك

مبارك لم يكن مجرد رجل واحد أو مجرد رئيس دولة، ولكنه كما وصفه ستيفين كوك أنه كان بمثابة "مسمار العجلة" Linchpin أو عمود أمن المنطقة برمتها؛ ووصفه كذلك بأنه كان "المقاول الفرعي" Subcontractor لسياسات الدول الغربية في المنطقة؛ حيث كان يعمل على تنفيذها وكذلك على قمع شعبه ومنع تظاهراته ضد أهم الانتهاكات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين وكان ينفذ رغبات الغرب بضمان أمن إسرائيل بعمل "ما يلزم" من أجلها سواء بالجدار الحديدي أو بقمع الحركات الإسلامية المعادية لإسرائيل سواء في الداخل مثل الإخوان المسلمين أو في الخارج مثل حماس الفلسطينية وضمان عزلها وعدم احتلالها لمكاتب مركزية في السياسات الفلسطينية،

³ <http://www.france24.com/ar/20110511-syria-assad-regime-sanctions-rami-makhlouf-new-york-times-interview>

⁴ George Friedman, Israel's Borders and National Security, May 31, 2011, on this link: <http://www.stratfor.com/weekly/20110530-israels-borders-and-national-security>

حيث كانت مصر في عهده محورًا للنظام السياسي الإقليمي الذي جعل من السهل على الولايات المتحدة أن تنفذ مشاريعها في المنطقة، وذلك النظام كان يتكون من المغرب ومصر والأردن والسعودية ودول الخليج الأخرى، ولكن مصر كانت تقف في مركز ذلك النظام بسبب اتفاقية السلام التي وقعتها مع إسرائيل وبسبب موقعها على قناة السويس التي تعد مركزية في الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة⁵.

التغير الثالث: صعود الإسلاميين:

صعود الإسلاميين إلى سدة الحكم في مصر تحديدًا سيؤدي إلى رفع سقف الخطاب الوطني والعربي إلى درجات ربما لا يستطيع الحكام الجدد أن يتحملوه، وذلك بسبب أن الشعوب ستنتظر منهم خطابًا عالي السقف بناء على توجهاتهم وأجنداتهم السابقة.. فبالرغم من صعود الإسلاميين في كل من المغرب وتونس وليبيا واليمن، إلا أن دور تلك البلدان هامشي في تشكيل النظام الإقليمي، كما أن الظروف الداخلية والخارجية لتلك البلدان لا تتطلب المواجهة مثل الحالة المصرية التي تقع على مشارف الدولة العبرية وترتبط معها باتفاق سلام، وبينها اتفاقية تصدير غاز وهناك مثيرات للتوتر بين البلدين في الكثير من القضايا، منها التنقيب عن الغاز في شرق المتوسط والسيطرة على المسارات البحرية في البحرين الأحمر والأبيض، وكذلك رغبة الدولة المصرية في زيادة نفوذها الإقليمي والذي سيتقابل بالضرورة مع النفوذ التركي ضد النفوذ الإسرائيلي، مما قد يجعل من المواجهة شبه حتمية، وهو ما قد يدفع تل أبيب إلى مسارعة الصدام قبل أن يشتد عود الدولة المصرية وتوجيه ضربات استباقية وإجهاضية لمشروع بناء الدولة المصرية، أو العمل بصورة حثيثة على تقويض الأمن الداخلي للدولة المصرية بإثارة القلاقل الداخلية ومحاصرة القاهرة اقتصاديًا مع حلفاء تل أبيب في الخارج، من أجل إجهاض مشروع بناء الدولة المصرية الحديثة، لا سيما إذا كان في ظل حكم الإسلاميين.

التغير الرابع: تحولات النظام الدولي والإقليمي:

⁵ Steven A. Cook, on the forum: Regional Consequences: The Geopolitics of the Changing Middle East, <http://www.cfr.org/middle-east/regional-consequences-geopolitics-changing-middle-east/p27838>.

يشهد النظام الدولي تحولاً في بنيته من نظام أحادي القطبية إلى نظام بلا قطبية أو إلى نظام التعددية التوافقية، فعصر اللاقطبية كما وصفه ريتشارد هاس في دورية فورين أفيرز⁶ سوف يؤدي إلى انحسار نفوذ الولايات المتحدة كقوة عظمى وسيمهد الطريق أمام صعود دول أخرى تكون أكثر أهمية في النظام الدولي الجديد، وهذا المتغير ليس نتيجة للثورات العربية ولكنه نتيجة لمجموعة من العوامل الاقتصادية والعسكرية والسياسية أدت إلى انحسار قوة الولايات المتحدة مع انسحابها من المنطقة وبسبب الأزمة المالية العالمية وأزمة الدين الأمريكي، ودخول الولايات المتحدة في حربي العراق وأفغانستان، وقد أثبتت الثورات العربية أن قدرة الولايات المتحدة على التأثير في مساراتها محدودة للغاية، كما أثبتت خفوت قبضة الولايات المتحدة فيما يتعلق بالتأثير على الأنظمة التي جاءت بعد الثورات العربية، شهدنا ذلك في الحالة الليبية بالرغم من أن الغرب كان له اليد العليا في الإطاحة بنظام القذافي، إلا أنه لم يستطع التأثير في مخرجات الثورة.

وكذلك أثبتت الحالة المصرية أن الولايات المتحدة تعرضت في قضية منظمات المجتمع المدني إلى إخراج بعدما قام المجلس العسكري المصري بالانقضاء على تلك المنظمات وأسفر الأمر في النهاية على طردهم خارج البلاد حتى لو كان ذلك بصورة تحفظ ماء الوجه الأمريكي، فالولايات المتحدة فقدت من قبل وسيلة التأثير الرئيسية في المنطقة . حسني مبارك مسمار العجلة والمقاول الفرعي . لذا لجأت إلى منظماتها التي تعمل في مجال نشر الديمقراطية من أجل التأثير على مخرجات العملية السياسية ولكنها تعرضت لضربة ثانية بطرد موظفيها من القاهرة، كما أثبتت أحداث الربيع العربي في الحالة المصرية عدم قدرة الولايات المتحدة على التأثير في مخرجات العملية السياسية أو الضغط على أي أطراف من أجل الحصول على نتائج مفضلة لواشنطن، ولكنها ظلت . إلى جوار الدول الغربية الأخرى . تشاهد وتنتظر مسار العملية الديمقراطية المصرية، وهذا من شأنه أن يكون له تداعيات كبرى على النظام الإقليمي في حقبة ما بعد الثورة، بعدم وجود قنوات لنزع فتيل الأزمات أو الحيلولة دون نشوب صراعات غير مقصودة بين الأطراف المتنافسة على النفوذ الإقليمي، ومن المتوقع أن تكون صفقات الغاز المكتشفة حديثاً في شرق

⁶ Richard N. Haass, The Age of Nonpolarity, Foreign Affairs, May\June 2008, on this link: <http://www.foreignaffairs.com/articles/63397/richard-n-haass/the-age-of-nonpolarity>.

المتوسط أمام سواحل غزة (وأحقية إسرائيل في الاستفادة منها) وكذلك الحقول المكتشفة في المياه القبرصية (مع وجود النزاع بين شقي قبرص ودخول تركيا على الخط) مع المنافسة على التواجد العسكري البحري في تلك المسارات من دول مصر وتركيا وإسرائيل، من ضمن المستفزات الأمنية في الفترة القادمة، ومع غياب دولة ضابطة للإيقاع في الإقليم مثل الولايات المتحدة وانحسار دورها في المنطقة فمن المتوقع أن تحدث أزمات لا يمكن التحكم فيها ولن تكون منخفضة الوتيرة **low intensity conflict**، ولكن العكس هو الصحيح فيمكنها أيضاً إشعال المنطقة برمتها.

نتائج تلك التغيرات على النظام الإقليمي والشرق الأوسط الكبير:

أولاً: تحولات الاستراتيجية الإسرائيلية:

تلك التغيرات الأربعة من المتوقع أن تؤدي إلى نتيجة حتمية سوف تبدأ في التشكل في الأيام القليلة القادمة، ألا وهو تبني إسرائيل لاستراتيجية جديدة للتعامل مع تغيرات المنطقة، فزوال مبارك أدى إلى انهيار المنظومة برمتها، ولذلك أصبح لزاماً على تل أبيب أن تعيد النظر في خياراتها الاستراتيجية، خاصة في ظل ما صرح به وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك أن إسرائيل تواجه زلزال إقليمي وتسونامي دبلوماسي وأصبحت مثل "الفيللا في الأدغال" **Villa in the Jungle**⁷ بكل ما يحمله ذلك التصريح من تعبير عن حالة الهلع التي أصابت إسرائيل، والتي يمكنها ان تؤدي إلى أن تقوم باتخاذ خطوات استباقية في المنطقة قد لا تعلم على وجه اليقين تداعياتها الآتية والمستقبلية، بحرق بعض المراحل التي كانت مؤجلة في الاستراتيجية الإسرائيلية، فالتعاطي العربي المختلف مع القضية الفلسطينية ومع مسار التسوية الذي وصل إلى طريق مسدود، وكذلك التعاطي مع القوتين المحوريتين الأخرين في المنطقة ، أي إيران وتركيا ، وفق معادلة جديدة تقوم على التعاون الاستراتيجي التكاملي وليس العداء، والتعامل الجدي مع حالة فراغ القوة التي

⁷ هاآرتس في 23 مارس 2011، على الرابط التالي: <http://www.haaretz.com/news/diplomacy-defense/barak-israel->

.facing-regional-earthquake-and-diplomatic-tsunami-1.351285

بدأ المجال الإقليمي للعرب يشهده مع بدء تفهقر مشروع السيطرة الأمريكي على هذا المجال مما يمكن أن يمثل خطراً وجودياً على دولة إسرائيل⁸.

فإسرائيل تدخل الآن البيئة الاستراتيجية الثالثة لها منذ إنشائها؛ حيث كان أهم ما يميز البيئة الأولى هو التهديد المتواصل بحرب شاملة والتي استمرت منذ إنشاء الكيان عام 1948 وحتى اتفاقية السلام مع مصر عام 1979. في حين بدأت البيئة الاستراتيجية الثانية بعد معاهدة السلام مع مصر بعيش إسرائيل في بيئة آمنة نسبياً من خطر حروب شاملة واستمرت حتى وقت قريب، وفي تلك المرحلة استطاعت أن تركز بصورة أحادية على القضية الفلسطينية وعلى جنوب لبنان وتساعد الحركات الإسلامية السياسية في فلسطين والتهديدات التي مثلتها عليها في غزة وجنوب لبنان، واستطاعت في تلك الفترة أن تتحرك بأريحية حيث كان لها اليد العليا بدون وجود خطر حرب شاملة يتهدها، وانتقت حروبها وأعداءها وتعاملت معهم في التوقيت الذي تريده وبالطريقة التي تريدها. أما صعود إيران وتركيا كقوى إقليمية وكذلك حالة اللايقين التي تمر بها مصر وسوريا فإن هذا ما يمثل البيئة الاستراتيجية الثالثة لإسرائيل⁹.

وتعد سوريا حجر الزاوية في تلك البيئة الاستراتيجية الجديدة؛ حيث إن انهيار النظام السوري لبشار الأسد سوف يؤدي إلى تقليص النفوذ الإيراني في المنطقة، وسيكسر الهلال الشيعي من منتصفه ويمنع ذلك من وصوله إلى حزب الله في لبنان، ولكن زوال نظام الأسد سيجلب نظاماً آخر . سنياً على الأغلب . سيحول وجهة تحالفاتها عن طهران إلى القاهرة وأنقرة، وهذا سيمثل خطراً كبيراً على إسرائيل أيضاً، فهضبة الجولان تمثل منطقة هامة في الاستراتيجية الدفاعية الإسرائيلية كونها هضبة مرتفعة تطل على السهل من ورائها تمكنها من إحباط هجوم بري على إسرائيل، ولن تفرط فيها إسرائيل بسهولة لأن حدودها حينئذ ستكون منكشفة وغير آمنة أمام أي هجمة سورية محتملة، خاصة في ظل تصاعد التوتر الإسرائيلي مع الجارتين الكبيرتين تركيا

⁸ فارس أبو صعب (2011) التحولات العربية في عالم متغير ومثلث القوة في الشرق الأوسط ، آراء ومناقشات ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 389 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت.

⁹George Friedman, Israel's New Strategic Environment, Stratfor.com, April 3, 2012, on this link: http://www.stratfor.com/weekly/israels-new-strategic-environment?width=620&inline=true#signup_inline

ومصر بشأن القضايا الأمنية في شرق المتوسط، أو بسبب القضية الفلسطينية إنشاء الدولة أو شن حرب جديدة على غزة. فتلك التوليفة المكونة من: نظام سوري جديد + نظام مصري وطني يبحث عن مصالح شعبه + نفوذ إقليمي متصاعد لتركيا + عقد علاقة تحالف عربي تركي مع إيران + الدعوة إلى إنشاء دولة فلسطينية من طرف واحد + محفزات للتوتر الإقليمي = خطر وجودي على الكيان الصهيوني.

التحرك الإسرائيلي:

أمام إسرائيل أحد خيارين، الأول هو إدخال المنطقة برمتها أتون الحرب، وذلك بتوجيه ضربة استباقية لعدة دول في المنطقة، أو باستخدام الخيار الثاني، وهو بث القلاقل والفوضى في الدول المجاورة بدءًا من مصر وسوريا ووصولاً حتى إيران من أجل تأمين وجودها.

الخيار الأول: الحرب المباشرة بضربة استباقية:

إسرائيل لا تستطيع أن تتحمل هجمات متزامنة على أكثر من جبهة مثلما حدث في 1973، فكما قامت في 1967 بتوجيه ضربة تمثل الاستراتيجية الإسرائيلية الاستباقية في جيلها الأول، ففي الوقت الراهن يمكن أيضاً أن تشن ضربة استباقية لا تمكن فيها أعداءها من بدء هجوم عليها، وحينئذ ستحدد إسرائيل موعد ومكان إطلاق الرصاصة الأولى، ومن المؤكد أن ثقل القوة العربية متمثلة في مصر الجارة اللدود لإسرائيل وهي الدولة الوحيدة التي تستطيع أن تحشد جيشاً كبيراً، فأى ضربة استباقية ستبدأ بمصر ثم بعد ذلك تنتقل إلى جيرانها، ثم الأهم هو أن إسرائيل في تلك الحالة ستهدف إلى إنهاء سريع للحرب مثلما حدث في عام 1967 ولكن في الوضع الراهن فهي لن تتحمل حرب استنزاف أخرى ضد قوات تفوقها حجماً بسبب الخسائر الكبيرة التي ستتحملها في صفوفها وقدرة المصريين على استيعاب خسائر في الأرواح بصورة أكبر من الكيان الصهيوني بسبب عدد سكانها الكبير، فأى حرب استنزاف ممتدة تتلو تلك الضربة الاستباقية ستؤدي إلى إنهاك القدرات القتالية الإسرائيلية بصورة كبيرة للغاية، مثلما أشار من قبل الفريق سعد الدين

الشاذلي في كتابه "مذكرات حرب أكتوبر"¹⁰ أن مقتل إسرائيل يتمثل في إطالة أمد الحرب معها لأنها لا تستطيع أن تعبى قواتها الاحتياطية لوقت طويل لأن إسرائيل في تلك الحالة ستعبى كل شعب الدولة اليهودية مما سيؤدي إلى شلل الحياة في الكيان، لذلك وكما يقترح جورج فريدمان فإن الحرب حينئذ ستكون عبارة عن ضربة استباقية ولكنها حاسمة، مما يشير إلى إمكانية استخدامها للسلح النووي¹¹.

وهذا السيناريو يقودنا إلى سيناريو "يوم القيامة" أو سيناريو الحرب العالمية الثالثة، التي وصفها هنري كيسينجر، وزير الخارجية الأمريكي الأسبق ومستشار الأمن القومي، بأنها على الأبواب ومن لا يسمع طبولها فهو أصم، حيث يصف ما يجري في الشرق الأوسط حاليًا بأنه حرب عالمية كبرى وأن الصراع سيكون بين الولايات المتحدة من جهة وبين كل من روسيا والصين من جهة أخرى، وأن المسمار الأخير في ذلك النعش سيكون إيران، والتي يصفها بأنها الهدف الأساسي لإسرائيل¹².

وبما مافي ذلك السيناريو من واقعية محتملة، إلا أنه يظل عالي التكلفة على الأمن العالمي برمته، فنشوب حرب عالمية ثالثة بين تلك القوى الكبرى وقدراتها العسكرية اللامحدودة من شأنه أن يحدث دمارًا غير محدود ولا يعلم مداه إلا الله، كما أن إسرائيل منفردة لا تستطيع أن تضرب إيران وذلك لأن الرد الإيراني سيكون فوراً باستهداف الوجود الأمريكي في المنطقة وبتلغيم الخليج العربي، مما يمكن أن يكون له أثر كبير على الاقتصاد العالمي وتدفق النفط في وقت تحاول فيه القوى الكبرى أن تتعافى من الأزمة الاقتصادية، ومثل ذلك السيناريو ربما يكون سيناريو انتحاري غير قابل للتحقق في الوقت والظرف الراهنين، وربما يتم التمهيد له في مرحلة متقدمة في المستقبل.

¹⁰ مذكرات حرب أكتوبر، الفريق سعد الدين الشاذلي، الطبعة الرابعة 2003، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، سان فرانسيسكو، ص266.

¹¹ George Friedman, Israel's Borders and National Security
May 31, 2011, on this link: <http://www.stratfor.com/weekly/20110530-israels-borders-and-national-security>

¹² حوار مع هنري كيسينجر مع جلوبال ريسريش الأمريكي، على الرابط التالي:
<http://www.globalresearch.ca/index.php?context=va&aid=28610>

الخيار الثاني: الحرب غير المباشرة:

في حرب 1973 استوعبت إسرائيل الدرس بأن الدول العربية مجتمعة يمكنها أن تمثل خطرًا وجوديًا على الكيان الصهيوني، فقد اشتركت في تلك الحرب العديد من الدول العربية سواء بالسلاح أو الأفراد أو الدعم الدولي أو إغلاق المضائق البحرية أو بوقف تصدير النفط للدول الغربية، كما استوعب ذلك الغرب أيضًا، لذا فإن الاستراتيجية الإسرائيلية الأساسية في تلك الحقبة كانت هي "شد الأطراف ثم البتر"، والتي تتمثل في شد الأطراف المحيطة بها إلى الخارج بعيدًا عن الكيان الصهيوني، فمصر يمكن شد أطرافها عن طريق منابع النيل وتهديد أمنها القومي في حصتها المائية، وكذلك وجود نزاعات داخلية عرقية أو طائفية، وكذلك الدول العربية الخليجية يتم إشغالها بالتهديد النووي الإيراني وتخصيص كل موارد تلك الدول من أجل المواجهة الإيرانية الحتمية القادمة، ولذلك فإن الخيار الإسرائيلي ربما يكون إحداث قلاقل داخلية في الدول الإقليمية الكبرى مثل مصر وإيران وتركيا، وكذلك منع نشوء نظام بديل في سوريا واستمرار أزمتها وتحويلها إلى ساحة حرب طائفية ومذهبية والعمل على ألا تقف على قدميها مرة ثانية، وكذلك الضغط المستمر على الدول العربية بشد أطرافها وبترها مثل الحالة السودانية وإشغال كل دولة في المنطقة بشئونها الداخلية أو بعدو خارجي يشدها بعيدًا عن إسرائيل مثل الشبح الإيراني الذي يمكن لإسرائيل أن تستمر في تخريب منشآت النووية واغتيال علمائه وإحداث فوضى داخلية فيه، وفي تلك الحالة وبعد أن يتم تفريغه من محتواه يمكن أن يتم تحويله إلى فزاعة دائمة للخليج وشد أطرافه باتجاه إيران دائمًا وبعيدًا عن إسرائيل، فاستمرار الطموحات النووية الإيراني . بدون الحصول عليه فعليًا . سيكون مظلة لزيادة النفوذ الإقليمي الإيراني بالتعاون مع العراق ومليشياته في لبنان وسوريا في حال انهيار نظامها، ويمكن حينئذ ابتكار سيناريو مواجه جديدة بين الشطرين السني والشيوعي في العالم الإسلامي بحرب إقليمية كبرى تصب في مصلحة إسرائيل كما كانت الحرب العراقية الإيرانية التي دمرت القوتين ثم دمرت أمريكا العراق بعد ذلك، ويمكن حينئذ لإسرائيل أن تدمر ما تبقى من أنقاض الطرفين .

فعلى عكس ما يشاع فإن إسرائيل يمكن أن تتعايش مع إيران نووية إذا كان ذلك يصب في مصلحتها، فهناك نظريتين مؤسستين للاستراتيجية الإسرائيلية فيما يتعلق بالسلح النووي، الأولى هي خيار شمشون، والثانية هي مذهب بن جوريون، فخير شمشون يعني أن حصول أي دولة في المنطقة على سلح نووي يعني دمار المنطقة برمتها، وليس التعايش في ظل توازن الرعب أو ما يعرف بـ "الدمار المؤكد المتبادل" أو **Mutual Assured Destruction** ، أما مذهب بن جوريون فيعتمد على توجيه ضربة استباقية لأي دولة تحاول أن تحصل على السلح النووي في المنطقة، مثل تدمير المفاعل النووي العراقي في عام 1981 في عهد بن جورين، أو تدمير نواة المفاعل النووي السوري أيضًا في عام 2007¹³، كما أن إيران النووية يمكن أن تلعب هي الأخرى دورا هاما للولايات المتحدة في استمرار رفع تسلح دول الخليج وبقائها كسوق كبرى للسلح الأمريكي، وتجعل الخليج كذلك أكثر ارتباطا بالولايات المتحدة وأجنداتها، فالولايات المتحدة تستطيع أن تتعايش مع سلح نووي إيراني كما فعلت مع باكستان وكوريا الشمالية، ويمكن أن يسير ذلك جنبًا إلى جنب مع استمرار ظاهرة تدويل أزمات العالم العربي والنفخ في نيرانها بتواجد أجنبي على أراضيه واختراقه من خارجه مثل الحالة العراقية ثم تحولات الأزمة السورية وكذلك الأزمة الليبية وأزمة جنوب السودان واحتمالات نشوب حرب بين الشطرين وكذلك أزمة الصحراء المغربية وتصاعد الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، بما يضمن استمرار ملفات القضايا العربية الكبرى في أيد غير عربية¹⁴.

ثانيًا: التحولات على الجبهة المصرية:

لقد مثلت الثورة المصرية فرصة حقيقية للشعب المصري في أن يستلم زمام المبادرة مرة ثانية وأن يقرر مصيره بأيدِهِ عن طريق انتخابات حرة نزيهة والاحتكام إلى صناديق الاقتراع وإلى العملية الديمقراطية، ولكن تلك الثورة كشفت عن مشكلات جمة خلفتها حقبة مبارك تتمثل في غياب

¹³ Dmitry Adamsky, Why Israel Should Learn to Stop Worrying and Love the Bomb: The Case for a New Nuclear Strategy Foreign Affairs, March 31, 2012, on this link: <http://www.foreignaffairs.com/articles/137374/dmitry-adamsky/why-israel-should-learn-to-stop-worrying-and-love-the-bomb?page=show>.

¹⁴ احمد يوسف احمد ، نيفين مسعد (2011) حالة الأمة العربية (2010-2011) رياح التغيير ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 389 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت.

المؤسسات الفاعلة للدولة حتى المؤسسات السيادية منها، وغابت الرؤية الاستراتيجية لصناع القرار في الدولة المصرية ما بعد مبارك، وبدا التخبط واضحاً في المرحلة الانتقالية بصراع داخلي بين مختلف القوى السياسية والأجهزة التنفيذية والإدارية للدولة، وكشفت كذلك عن صراعات داخلية وعدم وضوح الأولويات لدى النخب وحتى مؤسسة الأمن القومي المصرية، التي من المفترض أنها لديها خطط بديلة لزوال النظام المبركي، فالأمن القومي المصري في حقبة مبارك كان يعتمد على "سلمية" الدولة المصرية وظل مرهوناً بالخارج وليس مربوطاً برغبات الداخل بعدما وضع كل أوراق اللعبة في أيدي الولايات المتحدة، سيراً على نمط سابقه أنور السادات؛ فالأمن القومي المصري في عهد مبارك لم يكن محمياً بمنظومة قوية داخلية وخارجية، سواء بتصنيع سلاح أو باقتصاد وزراعة تكفي الحاجة المصرية، ولكنه كان محمياً بمفهوم "سلمية" الدولة المصرية ورعاية الولايات المتحدة لها ولاتفاقية السلام الموقعة مع الكيان الصهيوني، وكان ذلك هو مصدر شرعية الرئيس السابق أمام شعبه، وكانت الولايات المتحدة هي الضامنة لبقاء النظام السابق "طافياً" بالرغم من انخفاض مستوى التأييد الشعبي له لأدنى مستوى، بل كان يأتيه الدعم المعنوي له خارجياً أمام شعبه، مثلما أثبتت حالة الحرب على غزة عندما أتاه قادة العالم في مؤتمر شرم الشيخ لرعاية وقف إطلاق النار لتأييد مبارك أمام شعبه والمنطقة ورفع أسهمه بعد أن اتهم بأنه من يغلق أتون غزة على أهلها.

واليوم مع انهيار النظام بعد الثورة المصرية تبدأ منظومة جديدة للأمن القومي المصري في التشكل، وهنا تبرز معضلة سيادة الدولة المصرية مع ارتفاع سقف مطالب الشعب وانفصاله عن سياسات الماضي ورغبته في كرامة مصرية جديدة واستقلالية في القرار السياسي، لذلك فإنه في حالة التهديد بإلغاء اتفاقية السلام مع إسرائيل فإن مصر لا تمتلك الكثير من المناورة بسبب ربط أمنها القومي بالولايات المتحدة، فأى خرق لاتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية من القاهرة لن يؤثر بصورة كبيرة على إسرائيل ولن يهدد أمنها ولن يمثل رادعاً كبيراً لها، فالولايات المتحدة حينئذ ستتحرك لأنها تمتلك "مكابح" القدرات العسكرية المصرية، ولن تستطيع مصر أن تجد بديلاً لها في الوقت الراهن، وحتى لو بدأت في تنويع اعتمادها على السلاح الخارجي فإن الأمر سيستغرق جيلاً

كاملاً قبل أن تصبح القدرات العسكرية المصرية فاعلة باستخدام أنظمة سلاح جديدة، حيث إن الولايات المتحدة هي التي تقدم قطع الغيار والمساعدات التقنية للدولة المصرية فيما يتعلق بمعظم منظومات الأسلحة الخاصة بها، ولذلك ستظل خيوط اللعبة مرتبطة بالولايات المتحدة وسيظل الأمن القومي المصري مرهوناً بالمساعدة الأمريكية في المستقبل المنظور¹⁵.

ومن أجل هذه القيود على الأمن القومي المصري تحاول الأجهزة السيادية في الدولة المصرية . بالتعاون مع المجلس العسكري . على التأثير في مخرجات الثورة المصرية ومحاولة منع السيطرة الكاملة للإسلاميين على الحكم، أو على الأقل تقليل تأثيرهم لكي لا تنتقل مصر من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مرة واحدة بعد الثورة، لأن محددات الأمن القومي المصري ليست معتمدة فقط على الولايات المتحدة، ولكن أيضاً على مجموعة من دول الجوار التي ربما لا ترغب في رؤية أنظمة إسلامية في مصر أو تنامي نفوذ جماعات الإسلام السياسي المنظمة بسبب تداعيات ذلك على الداخل في دولهم، فلذلك نجد دولاً تحاول قادتتها محاربة الثورات العربية وتحاول بكل ما تملك من قوة أن تنحي فكرة التغيير السلمي للأنظمة وأن ذلك لن يمر بلا ثمن من الدماء، لذلك فهي تحاول دائماً أن تعيد ترسيخ عامل الخوف في الشعوب من أجل استمرار حكمها¹⁶.

التداعيات الإقليمية للربيع العربي:

من المتوقع أن تزداد سخونة الأجواء في المنطقة العربية في حالة وصول رئيس من الإخوان المسلمين إلى الحكم في مصر؛ فذلك سيكون له تداعيات كبرى على شكل العمل العربي المشترك وكذلك على رؤية الأنظمة العربية للإسلام السياسي، بتداعيات جمة على الساحة السياسية الداخلية لمعظم الدول العربية، لا سيما الخليجية، ومن المتوقع أن يؤدي ذلك إلى انفراجة أمام الإسلام السياسي، وعلى الجانب الآخر ربما نشهد حرباً حامية الوطيس على النموذج السياسي الإسلامي من أجل عدم تصدير التجربة إلى بقية البلدان، وذلك بالاشتراك ما بين أمريكا وإسرائيل

¹⁵ George Friedman, Israel's New Strategic Environment, Stratfor.com, April 3, 2012, on this link: http://www.stratfor.com/weekly/israels-new-strategic-environment?width=620&inline=true#signup_inline.

¹⁶ Steven A. Cook, on the forum: Regional Consequences: The Geopolitics of the Changing Middle East, <http://www.cfr.org/middle-east/regional-consequences-geopolitics-changing-middle-east/p27838>.

وبعض الدول العربية التي لا ترغب في إناج التجربة السياسية الإسلامية، مما سيكون له تداعيات جمة على المنطقة.

فذلك الاختيار، محاربة الإسلام السياسي وتجربته، سيتقاطع مع المصلحة الإسرائيلية في تصدير الفوضى إلى الداخل المصري ومحاولة إشغاله بتوتراته وتفاعلات الحكم الداخلي ما بين السياسيين الجدد أصحاب السلطة التي من المتوقع أن تكون منقوصة، وما بين الأجهزة السيادية داخل الدولة المصرية، بدفع من الولايات المتحدة وإسرائيل للتحكم في مخرجات الثورة المصرية وتداعياتها على الربيع العربي ودوله المختلفة.

لذلك من المتوقع أن تصب الخيارات المناهضة للثورات العربية كلها في وأد التجربة السياسية المصرية في حال وصول الإسلاميين إلى الرئاسة وسيطرتهم على الحكومة والبرلمان، ولذلك فإسرائيل خيارها الحالي هو عدم ضرب إيران ولكن تهيج الجبهتين: الداخلية المصرية، والإيرانية الخليجية، من أجل شد الأطراف بعيداً عنها والانتظار عما ستفسر عنه معركة تحطيم العظام تلك وتداعياتها على المنطقة، فهذا يصب في المصلحة العليا للكيان الصهيوني ومن ورائه الولايات المتحدة، وهي الخيار الأسوأ للعرب والمسلمين على حد سواء.